بسم الله الرحمن الرحيم

ردمك الجزء السابع : ٥ ـ ٠١٤ ـ ٥٠٣ ـ ٩٦٤

ISBN : 964 - 503 - 014 - 5

ردمك الدوره : ٣ ـ ٠١٥ ـ ٥٠٣ ـ ٩٦٤

ISBN : 964 - 503 - 015 - 3

الكتاب : هكذا عرفتهم / ج ٧

المؤلف : جعفر الخليلي

الناشر : انتشارات المكتبة الحيدرية

عدد الصفحات والقطع : ٢٢٨ صفحة وزيري

عدد المطبوع : ١٠٠٠ جلد من الجزء السابع

الطبعة : الأولى

سنة الطبع : ١٣٨٤ـ١٤٢٦ هـ

المطبعة : شريعت

سعر الدورة الواحدة (١ / ٧) : ٣٠٠٠٠ تومان

www.ketab.ir

هكذا عرفتهم

خواطر عن أناس ألذاذ عاشوا بعض
الأحيان لغيرهم أكثر مما عاشوا لأنفسهم

تأليف
جعفر الخليلي

www.ketab.ir

كلمة لا بد منها

بقلم
جعفر الخليلي

كانت قد صدرت لي أربعة أجزاء من (هكذا عرفتهم) ثم حكمت الظروف المادية وللظروف أحكامها كما يقولون ـ أن تتأخر الأجزاء الأخرى وقتاً ربما طال، فراح يسألني غير واحد ممن كان يتتبع هذه السلسلة عن أسباب هذا التأخير فأجيب بالجواب المألوف عندنا قائلاً: ستخرج إن شاء الله ـ وبدا لي أن الله لم يشأ بعد حتى ظن البعض أنني قد اصفيت كما تصفي الدجاجة فلم تبض ولم تفرخ، حتى جرني ذات يوم وأنا ـ بسوق الغرب ـ الصديق الأديب ابراهيم حرب وسيطاً في شأن له عند السري الجليل والمحسن الكبير معالي الحاج (عبد الهادي الجلبي)، ولست أدري كيف جرى الحديث عن أسباب وقوف هذه السلسلة عند الجزء الرابع، وكل ما أدريه هو أني لم أكن أنا الذي فتحت هذا الباب، وسأل معاليه: ألم يمت من هؤلاء الأفذاذ الذين عاشوا ـ على حد قولك ـ بعض الوقت لغيرهم أكثر مما عاشوا لأنفسهم؟ وحاولت أن أغير الحديث لأني خشيت أن يجرني الحديث إلى الظروف المالية التي إليها وحدها يعود السبب في الوقوف بهذا الكتاب عند هذا الحد، فيتصدى هو إلى حل هذه المشكلة بما أعرفه عنه، وأن الذي أعرفه عنه شيء كثير طالما بر به طالباً معوزاً يريد أن يتم دراسته العليا، أو مريضاً يقتضيه داؤه العضال السفر إلى الخارج للمعالجة فتحوله قلة ما يملك دون ذلك، وغير هذا مما يعرفه غير الكثير من الناس، فصرت أتهرب منه، ولا سيما بعد أن انكشف له أن الذين ماتوا من هؤلاء غير قليلين، وأني لم أتناس البعض منهم، ولم ألمح إلى الأسباب، وكان يعود إلى الحديث عن هذه السلسلة، ولم يفد تهربي منه، وأخيراً قال لي وبهذا النص: «انتظر أن تبعث لي بما

www.ketab.ir

هو لديك من المسودات فإني أرغب أن أقوم بطبعها ، وأحسست هنا بالخجل يغمرني حتى شحمة الأذن ، ولم أرد عليه بشيء ولا بكلمة الشكر التي يفرضها الأدب ، ورحت مزة أخرى أحاول تغيير الحديث.

وحين تفضل مشكوراً وأنجز للصديق ابراهيم حرب مهمته وقمنا إلى الباب لنخرج وقف عند الباب وقال (لا تنس أن تبعث بما لديك من المسودات لأقوم لك بطبعها) وخرجت وأنا حائر ، فيما كأنني قد جئت وسيطاً لمهمة تتعلق بصديقي الشاعر ابراهيم حرب ، وإنما جئت لكي أحمل هذا المحسن الكبير على طبع ما لم أستطع طبعه بانفاقي كما طبعت الأجزاء الأربعة من قبل.

وبحثت من صديقي المحامي المحقق (عبود الشالجي) بعثت بمسودات الجزء الخامس إلى (الشالجي) ليقوم هو بتسليمها إلى معالي (الجلبي) حين يتحسس هو منه أيضاً بهذه الرغبة في طبع الكتاب ، وكان أن طبع الجزء الخامس ثم طبع الجزء السادس ، وتسلمت الجزءين ولم يزالا مكدسين في أحد المخازن في بيروت بسبب هذه المحنة التي حلت بلبنان وحيلولة وجودي بعمان عن اتخاذ التدابير لتوزيع الكتابين المذكورين.

www.ketab.ir

مقدمة

من قلم
روكس بن زائد العزيزي

هكذا عرفتهم لصديقنا المرحوم العلامة الأديب جعفر الخليلي، فن مبتكر من الأدب الحي، يأسر القارىء بأسلوبه الجديد الجامع بين:

أ ـ السيرة الشخصية
ب ـ وتاريخ الأدب،
جـ ـ والنقد النزيه
د ـ والقصة،
هـ والتاريخ،
و ـ وعلم الاجتماع،
ز ـ والأدب الحي،
ح ـ وفن التصوير بالكلمة الرشيقة.

***

أجل إنه يجمع كل هذا بأسلوب سهل ممتنع يشبه أسلوب (عبد الله بن المقفع) أما كتابه هذا الذي نقدمه للقراء الكرام فعنوانه: (هكذا عرفتهم) وقد دعاه موسوعة، خلد فيه أناساً بعضهم لم نسمع بهم، مع هذا ـ وأقول ذلك للحقيقة وللتاريخ ـ فإنه يرغم القارىء على متابعة ما يكتب، وهو يصف خبايا نفوسهم وصف الخبير بكل ما في حيواتهم الخاصة، حتى أولئك الذين لم يلقهم إلا في رسائلهم وآثارهم، فقلق الخليلي بأصدقائه عجيب حقاً،

www.ketab.ir

لأنه مطبوع على الوفاء، لإيمانه بأن الوفاء من أسمى الفضائل إن لم يكن أسماها، قال:

كل شيء ينسى (أبا عادل) في الوجود إلا الوفاء!
ولقد صاغك الإله مثالاً في وفاءٍ وباركتك السماء
قد تفقدتني بيوم عصيب عز فيه الصديق والأقرباء
فتقبل مني ثناء محب لا يجاريه في الوجود ثناء

***

فهذا الجزء من الكتاب مقصور على ستة بهذا الترتيب

١ ـ ميخائيل نعيمة
٢ ـ وديع رشيد الخوري
٣ ـ السيد محمد جمال الهاشمي
٤ ـ جورج صيدح
٥ ـ الدكتور أمين زهر
٦ ـ وعجاج نويهض

***

لم يكتب على أحد ممن تناولهم في أجزاء هذه السلسلة وهو حي إلا على:

أ ـ المطربة الكبيرة (عفيفة اسكندر) لأنه أشيع أنها ماتت في سقوط طيارة،

ب ـ وميخائيل نعيمة يوم أشيع أنه لقي ربه سنة ١٩٧٥[1].

وكان غرضه من هذا الاحتياط أن لا يضطر للمجاملة، فلما تبين له أن الإشاعة الخاصة بـ (عفيفة اسكندر) وبـ (ميخائيل نعيمة) غير صحيحة، لم يرد أن يئد ما كتب عليهما، وجعل مقالة (نعيمة) أول مقالة في الكتاب.

وقد افتتح هذا الجزءبكلمة قال فيها: «إنه توقف عن متابعة هذه السلسلة عند الجزء الرابع بسبب ظروف مالية، فلما عرف المرحوم (الحاج عبد الهادي الجلبي) بذلك تبرع بطبع الأجزاء المعدة للطبع: أ ـ الخامس، ب ـ السادس، جـ ـ وهذا الجزء السابع، فطبع

(١) كنت في بغداد يوم نقلت وسائل الإعلام ـ خطأ ـ نبأ وفاة المرحوم نعيمة، فقلت للمؤلف، أن النبأ غير صحيح لكنه قال لي: «ان العلامة الأستاذ كوركيس عواد» وكد له النبأ، فلما تبين له صدق ما رويت له، لم يرد أن يبدل شيئاً في ما كتب (العزيزي).

www.ketab.ir

فعلاً الجزء الخامس والجزء السادس، وقدمهما هدية منه للمؤلف، وطلب منه الجزء السابع ليطبعه بانفاقه، ويقدمه هدية له أيضاً. لكن الأستاذ الكبير أرسل به إلى الرياض إلى الرياض وأجيز نشره، غير أن ظروفاً قاهرة حالت دون ذلك، فسعيت إلى استرداده، وعندما وصلت مسوداته اليّ، أعدت النظر فيها مراجعة وتحقيقاً. فلما عرضته على معالي استاذنا العلامة الرصين وزير الثقافة الدكتور الاستاذ محمود السمرة امر مشكوراً بنشره بانفاق الوزارة الجليلة عليه لما لمؤلفه من خدمات للصحافة، وللعلم، والادب، اولثقافة، والعروبة، والاسلام اذ من مؤلفاته موسوعة العتبات المقدسة ١٣ جزءً والهاتف ٢٥ مجلداً وموسوعة هكذا عرفتهم ٧ مجلدات غير كتبه العديدة.

***

إن هذا الكتاب بأجزائه السبعة هو صورة مشرقة من صور الوفاء، الذي خص الله به هذا الإنسان الطيب الخليلي الفاضل. صاحب القلم المصور، لأنه يرسم في كل مقال صورة مشرقة لمن أرخ له، يرسم فيها محاسنه ويكشف في خبايا نفس صاحبه ما يكاد يخفيه من نفسه عن نفسه. فكم من أحكام جائرة على بعض من أرخ لهم. كالذي صحح من أحكام ذوي الأغراض على العبقري الخالد (ميخائيل نعيمة) فقد اتهمه كثيرون بالبخل بل بأكثر من ذلك بالشح، فجاء المرحوم الخليلي ينفي عنه تلك الوصمة، ويبرزه محسناً إنساناً، في قصته مع الشاب الإيراني (سعيد علي) الذي أوصاه به صديقه الأديب العراقي (ناجي جواد)، فقد استقبله المرحوم (ميخائيل نعيمة) في (بسكنتا) شتاءً وهو بملابس الصيف، قادماً من بغداد، يقول الخليلي ما حرفه: «فتلقاه (ميخائيل نعيمة) بالترحيب، وألبسه بذلة من بذلاته الشتوية، ومعطفاً من معاطفه الصوفية، وبما كان يلزمه من الثياب ثم تلفن للفندق العائلي الوحيد في (بسكنتا) PENSION وطلب من أصحابه أن ينزلوه عندهم بانفاقه - أي بانفاق المرحوم (ميخائيل نعيمة) وهيأ له عملاً دائماً في مدرسة للرهبان في بيروت ثم عاد (ميخائيل نعيمة) ودعا هذا الشاب إلى (بسكنتا) وعينه معلماً بعمل سنوي، وضمه إلى بيته مطلق الحرية يعمل ما يشاء كأنه أحد أفراد أسرته، وقد ذكرت كذلك في مقال لي كتبته على ميخائيل نعيمة ونشرته مجلة أفكار بعد وفاته مع صورة التقطت لنا يوم زار عمان سنة ١٩٦٥، بدعوة من أمانة عمان، حيث ألقى محاضرة عنوانها (الغربة الكبرى).

***

يقول الأستاذ جعفر الخليلي: «أقول أن البر والمعروف الذي لقيه (سعيد علي) من (ميخائيل نعيمة) لا يمكن أن يكون غير ضرب من ضروب السخاء!» وقد قربه ميخائيل إليه حتى غدا واحداً من أعضاء البيت، يأكل ويشرب عندهم ويلبس منهم، ويسهر معهم، وشهادة المرحوم الخليلي تكذب ما كان يشيع خصوم نعيمة عنه من الشح.

www.ketab.ir

ثم يقول الأستاذ جعفر أنه ندم على تقريظه كتاب المحامي (كعدي فرهود كعدي) المعنون بـ (ميخائيل نعيمة بين قارئيه وعارفيه) إذ يقول: «لم أنس مقام ميخائيل نعيمة في عالم الأدب، وانفراده بهذا النوع من الفن الذي استحق به الترشيح لجائزة نوبل سنتين متواليتين!»..

هذا بعض ما قاله على النعيمة رحم الله الاثنين.

***

أما وديع رشيد، ١٨٩٨ ـ ١٩٧٧

فيقول أنه عرفه بوساطة (جورج صيدح) والدكتور (سليمان داود) وتلقى أولى رسائله في الثامن من شهر تموز ١٩٧١، وكانت شهادتهما به أنه:

شاعر بارع، وكاتب مبدع، وصديق وفي، ومن كان في مثل هذه الصفات، يسعى الإنسان إلى صداقته، لأنها غنم، قال أنه ينسب إلى الخوري: وهذه النسبة كثيرة في لبنان، وسورية في حين أن هذه الأسر لا يمت بعضها إلى بعض بصلة، من النسب، ووديع هذا عصامي لم تسمح له الظروف بإتمام دراسته، فسعى إلى صقل ملكاته إلى أن أضحى شاعراً مرموقاً، كما تنبأت له السيدة الشاعرة (وردة اليازجي).

يذكره المؤلف بأنه من المسيحيين الذين أولعوا بالقرآن الكريم، مع التعمق في دراسة التاريخ الإسلامي ونهج البلاغة، يذكر أنه أحاط بجانب من الحديث والتفسير، فكان لذلك بعض الأثر في استقامة شعره ونثره، فلما توفيت زوجته وعزاه بها ورجاه بأن يتغلب على حزنه أجابه بقوله: «سأبذل جهدي يا أخي لضبط النفس في هذا المصاب الأليم، اقتداءً بسيد الحكماء الإمام الحسين فيلسوف الإسلام العظيم (علي بن أبي طالب)[1] مع ذلك فأين نحن وضعفنا الإنساني منهم؟ ومن قوة إيمانهم التي بلغوا بها ذروة الشمائل الإنسانية الطيبة.

وقد كان معجباً (بأبو ماضي) سائراً على نهجه الأدبي، مع عفة في اللسان والقلم صفتان لم يتصف بهما إيليا أبو ماضي، لكنه كما يقول المرحوم الأستاذ (جعفر) قد جرى في ميدان (أبو ماضي) فيما بعد، إلى آخر الشوط، فلما لامه (الخليلي) كان اعتذاره: «إن لإيليا أبي ماضي الحلو والمر، فالحلو لإخوانه، والمر لمعاكسيه، والاستاذ الخليلي، يرحمه

---

(١) جاء في المساعد للأديب الكرملي ما حرفه: «قولنا علي بن أبي طالب» أصح من قولهم علي بن أبي طالب، ج١».

www.yetab.ir

الله لا يرضى عن اهتمام مؤرخي أدب المهجر بأسر الأدباء فهو يرى أن في ما كتب وديع على جبران وميخائيل نعيمة تحاملاً لا يجوز.

يذكر أن (وديعاً) عندما أيسر فتح بابه للضيوف، بكرم وسماحة نفس عزَّ نظيرهما!

***

يذكر له (نداء الغاب) الذي يضم جانباً من شعره وقد أثبت رأي إيليا أبو ماضي في مقدمة هذا الديوان: «نداء الغاب» أن أبرز صفات (وديع رشيد الخوري) الاستغراق في التأمل، إذا عرض له مشهد ساحر، رف عليه بكل روحه، ونسي كل شيء سواه، ويظل ذلك الجمال مستحوذاً على روحه حتى يغيب فيها، ثم ينبع منها في هذه القوافي العذبة الرنين فيفتح الناس أعينهم على كنز من البدائع.

ويقتطف الاستاذ (الخليلي) من أدب (وديع رشيد الخوري) ما استهل به رثاءه لشقيقته (وديعة): «الى شقيقتي (وديعة) التي غمرت طفولتي بالحب والجمال، وأنعمت صباي بالأنغام والرؤى. ورافقت شبابي بالعزيمة والاختبار، إلى الحياة التي ما انفلتت من دائرة الجسد الضيقة، واحتجبت عن عيني حتى تسربت كالحلم إلى أعماقي؛ وأصبحت كالظل ملازمة نفسي عندما كنا قادمين من الأزلية، وذلك قبل أن لبست نفسانا المادة منذ عهد بعيد جداً كنا نسير في عالم من أثير، وملء نفسينا اكتفاء وجمال ومحبة وأول ألم أحسسنا به، كان عندما القت بنا الأقدار في هذا العالم، حيث تبتدىء تعاسة الإنسان في الرحم، وتنتهي في القبر، وهكذا يا أختاه ابتدأت طفولتنا بين الخمائل، وكانت طفولتنا منعمة بالغبطة وبالحب الساذج، وذلك لأنها كانت قريبة العهد من ذلك العالم الروحي إلى ما يدعونه خلوداً».

***

وقد تطرق إلى تأسيس الرابطة القلمية والى أعضائها والى خروج إيليا أبو ماضي منها وكيله الشتائم البذيئة المقذعة لمخالفيه في الرأي، وأبرزهم (جبران) و(ميخائيل نعيمة) وذكر أن (وديع رشيد الخوري) انضوى تحت راية (إيليا) لكن لسانه كان عفيفاً ـ في الغالب ـ وإن كانت اقواله خالية من المنطق والدليل المقبول،

يقول أن آراء وديع الخوري في أدب المهجر تتجلى في كتابه (ظهور وتطور الأدب العربي في المهجر الأميركي) وهو غير راضٍ عن تهجمه على (جبران خليل جبران) و(ميخائيل نعيمة) ولا عن أحكامه على أدبهما وهنا ينبهه على بذاءة (إيليا ابو ماضي) يوم ثبتت عليه سرقة قصيدة (الطين) من الشاعر البدوي (علي الرميثي).

***

www.kotob.ir

والخليلي رحمه الله مطبوع على مناصرة الحق، وهذا ما دعاه إلى تنبيه (وديع) إلى شتائم أبو ماضي السوقية التي يكيلها لمخالفيه في الرأي، أو لناقدي شعره.

وعلى الرغم من التباين بينهما في الرأي فإنه يقول:

«ويعرف مكاتبو (وديع) والمتعلمون به عن كثب مزية انفراده بين أدباء المهجر بترحيبه بالضيوف فهو الذي يستدعيهم وهو الذي يستقبلهم، وهو الذي يعنى بهم عند نزولهم في بيته.

ويقول (وديع) وقد تعرفت بـ (إيليا أبي ماضي) عندما زارنا في (بنغمتن) وأقام عندنا نحواً من عشرة أيام. ويقول: «ويبدو أن أيام وديع الطويلة قد مرت بهناءة، وراحة بال سواء من حيث عمله أو من حيث أهل بيته، وزوجته على الأخص، حتى صحته كانت من أحسن ما يكون، غير أن الأكدار قد تجمعت في سنيه الأخيرة»

ثم يقول: «لم تنقطع رسائل وديع عني، ولم تنقطع رسائلي عنه، لذلك دهشت حين قرأت نعيه في إحدى الصحف فجأة، وراحت دموعي تتفاطر على الصحيفة وأنا أردد بيت (نعمة الحاج):

أسائل أين رفاق الطريق؟ تولوا ولم ترهم مقلتي!

***

وهذا رأيه في السيد (محمد جمال الهاشمي) ١٩١٦ ـ ١٩٧٧

من السادة، ايراني الأصل، حل في (النجف الأشرف) فقيراً جداً، وقد أعانته على مصاعب الحياة التي لا تحتمل قناعة عجيبة وإيمان أعجب، على نقيض غيره من طلاب العلم في النجف من ايران، الذين كان بعضهم يعيش عيشة مترفة، وقد سكن في أول أمره في خان كان الزوار الذين يأتون من (ايران) يحلون به هم وحميرهم، إلى أن رضي أحد الطلاب أن يشاركه في غرفة له، ثم مل الطالب من كثرة قيام الهاشمي للصلاة ليلاً، فخيره بين ترك التعبد ليلاً وبين هجر الغرفة فهجر الغرفة بعد أن تمكن شيخ من الشيوخ أن يقنع خادم المدرسة أن يسكن في غرفة خزين، لأشياء مختلفة ليس فيها منفذ نور عدا بابها.

وقد عرف محمد جمال بالجد والاجتهاد وقدسية السلوك والتواضع وقد وفقه الله بأن تزوج بسيدة صالحة مؤمنة كانت تعول زوجها وأولادها مما تحصل عليه من الغزل، وخياطة الثياب، وكان همه أن يصل إلى أغوار النصوص وفلسفتها، يلذ له أن يحرم نفسه من ملذات الحياة في سبيل الوصول إلى الحقيقة.

***

www.ketab.ir

أما أم السيد محمد جمال فقد علمت بعض بيوتات النجف الأشرف أن تصنع نوعاً من الحلاوة، وقد بلغ السيد محمد جمال منزلة عالية من الاجتهاد، فاشترى له بعض مقلديه، بيتاً أهدوه إليه، فاختار لنفسه من هذا البيت أحط غرفة واضيقها لئلا تغيب عن باله أيام الضنك والضيق، وقد أخذ الناس يأتون إليه طالبين بركته، فكان يكل ذلك إلى زوجته، لأنها كانت تعرف بماذا تكرم الناس، ولما بلغ الحرجية رفض ـ تواضعاً منه ـ أن يصحبه في مسيره أحد من الأعوان، ولما كبر السيد محمد جمال اعتمر العمامة السوداء[1] وأكبَّ على الدروس الدينية، وأقبل على اللغة العربية وعلومها واكتشف مواهبه الشعرية وأخذ ينظم الشعر، وقد شجعه صاحب الهاتف كثيراً، وقوم أشعاره إلى أن بلغ شأواً بعيداً، وانتسب إلى جمعية (الرابطة الأدبية) وأخذ يشارك في نشاطاتها، إلى أن تفوق في نظم الشعر، وقد كان محمد جمال الهاشمي طيب النفس كثير المزاح.

***

وهنا يذكر المؤلف أن مكتبة السيد محمد جمال الهاشمي كانت عامرة بنفائس الكتب وقد قال عليه المؤلف: «وللسيد محمد جمال الهاشمي مزية كبيرة وهي أنه قلما صدر كتاب من كتب العلوم الانسانية الحديثة إلا اقتناه ووعاه»، فأثر فيه ذلك إذ كان يدعو إلى التجديد والإصلاح.

يذكر أن السيد محمد جمال الهاشمي قبل أن يلمع نجمه، كان المؤتمون به قلة من نكرات الرجال والنساء لكن بعد وفاة ابيه كثر المؤتمون به، لكنه شعر بفراغ لما تحول الأستاذ الخليلي بالهاتف إلى (بغداد) فكتب إليه رسائل تفيض بالحنين وفيها أشعار رقيقة، وكان شديد التتبع لكل ما يكتب الأستاذ الخليلي، والحقيقة أن الذي يقرأ رسائله وأشعاره الموجهة إلى الأستاذ الخليلي يلمس مقدار المحبة والإخلاص لصديقه هذا، وفي هذه الترجمة للسيد محمد جمال الهاشمي يسخر الخليلي من خرافة (الأعور الدجال) ومن مؤلف كتابه الذي يؤيد أقواله فيه بمائة وعشرين حديثاً وسنداً وعشرات المؤيدين من رجال الدين ويذكر سخرية (الشيخ محمد الشريعة) من هذه الخرافة وخذلان المؤلف وهربه خجلاً، وعلى ذكر الخرافات والأساطير فإن المرحوم الخليلي من أعداء تلك الخزعبلات وهو يعتقد أنها تشويه لجمال الدين، وقد كاد يضيع حياته ثمناً لمعارضته التطبير في أيام عاشوراء.

---

(١) العمامة السوداء هي شعار السادة الذين يحق لهم أن يكونوا من رجال العلم أما من يعتمرون العمامة الخضراء فهم السادة الذين ليسوا من العلماء ـ العزيزي ـ.

www.ketab.ir

هذه إلمامة بما ذكر عن السيد محمد جمال الهاشمي، وننتقل إلى ما قال على جورج صيدح الشاعر المهجري الكبير كيف عرفه؟ ١٨٩٣ ـ ١٩٧٨.

يبدو لي مما كتبه على هذا الشاعر أنه له منزلة خاصة في نفسه، فقد كتب عليه ثمانياً وخمسين صفحة من القطع الكامل الكبير، فقد ذكر أن الذي عرّفه بـ (جورج صيدح) هو المرحوم الدكتور رشاد دارغوث، وقال أن (جورج صيدح) ليس له من النسل سوى فتاة تزوجت برجل لا يريده أبوها، ولم يصح هذا الزواج المكروه المخفق سوى الطلاق، وقد وفقت بزواجها الثاني، وذكر وهو يكتب على صيدح ويذكر أفضال مكتبة الآباء اللعازريين عليه، وقيمتها في نشر الثقافة والعلم، وذكر أن هذا الشاعر كان يحفظ كثيراً من سور القرآن الحكيم، ومن نصوص نهج البلاغة، وعرج على بعض أصدقائه من مفكري النصارى وأدبائهم الذين أولعوا بالقرآن وبنهج البلاغة.

***

وقد وصف هذا الشاعر بقوله: «كان (صيدح) أنيقاً في شبابه، يعطى نفسه لذائذها من المأكول والملبوس، والعيشة الرفيهة، إذ كانت له يومذاك سيارة خاصة، وكان كريماً إلى حد الإفراط، إلى أن قال: «أصيب بخسارة فادحة، ربما كان سببها كثرة انفاقه على نفسه، وعلى هواياته الجنسية، وعلى غيره من الناس، ولا يمنعه مانع عن أن يجود بكل ما تحت يده، فاضطر سنة ١٩٤٥ للهجرة إلى أوروبا، وكان متعلقاً ببلاد العرب ولا سيما ـ مصر ـ يذكرها في كل مناسبة، يقول أنه كان له مغامرات جنسية في (باريس)، وله في ذلك شعر وهو في الثمانين من عمره وقصيدة (بنت باريس) مشهورة تلك القصيدة التي أعجب بها الشاعر (نزار قباني) وأساءت رأي إخوان (صيدح) ـ الغيُر على سمعته ـ به، ومنهم الدكتور (سليمان داود) الذي خاصمه من أجل قصيدته تلك، لأنه لم يحترم وقار شيخوخته، ولا سمعته الأدبية المدوية، ومن (باريس) انتقل إلى أميركة الجنوبية، فأقام في كاراكاس عاصمة فنزويلا وأصدر فيها مجلة دعاها (الأرزة) ولما تحول إلى (الأرجنتين) أصدر فيها جريدة سماها (الرابطة الأدبية) فأضحى له شأن كبير بين الأدباء والتجار فاتجهت إليه الأبصار، وصار عميداً للجالية السورية والجالية اللبنانية بل للجالية العربية كافة. فلم تكن تحدث مشكلة بين تلك الجوالي، إلا ويكون حلها على يد الشاعر (صيدح) فكم من سجين أنقذه من السجن، وكم من مطالب بغرامة تولى دفعها وينفق على الطلاب بسخاء إلى أن لقي ربه، فخلقت له شهرته في الأدب وفي الإحسان حسدة كثيرين، فاضطر لهجرة (كاراكاس) قائلاً:

«إن رأيت الحق يخشى باطلاً ... وسمعت الحمد للجور المشين
فاهجر الدار، وجانب أهلها ... لا يقيم الحر بين الخانعين!»

www.ketab.ir

وبعد رحيله صار خصومه يدعونه إلى العودة، فلم يعد للإقامة، بل عاد إلى (كاراكاس) يصفي أعماله التجارية فيها.

***

وفي سنة ١٩٥١ أوفد رئيس جمهورية (الأرجنتين) ـ الجنرال بيرون ـ مندوباً فوق العادة من أجل توطيد العلاقات مع (سورية) فأوفد (جورج صيدح) مع مندوب رئيس الجمهورية، فلقي أعظم حفاوة ـ في بلاده ـ بعد أن غاب عنها أربعين سنة ثم غادر (دمشق) لكي يقيم في (بيروت) فدعي إلى (مصر) ليلقي سلسلة من المحاضرات حولها فيما بعد كتاباً دعاه (أدبنا وأدباؤنا في المهجر) أثار عليه ضجة هائلة، وهاجمه من أجله عزيز أباظة مهاجمة سافرة، لكنها لم تستطع أن تنال من قيمة الكتاب، أو من مكانة أدباء المهجر!..

فطبع كتابه مراراً، لكن أخذ على كتابه أنه جمع بين الغث والسمين، فسبّب له كتابه هذا جفوة من بعض أحبابه، لأنه فضل الشاعر القروي على الشاعر (إلياس فرحات). وقد وصفه المؤلف بقوله: «وصيدح مرهف الحس، قليل الحلم في ما يمس شخصيته، سريع الغضب ممن يتهمه بما ليس فيه!».

يشكو (صيدح) من خصومه قائلاً: «القضية مهمة تخرج عن المشكلة الشخصية، إلى معضلة اجتماعية، في المفتريات، حيث التحاسد والمكايد، والنفاق على أشده وهو يفسد المساعي والأعمال والمشاريع الوطنية العمومية، ويقصر عمر اللغة والآداب العربية في تلك المهاجر، وقد كنت أنا فيها متبرعاً بمالي وبعلمي، وبوقتي وصفيت تجارتي وقنعت من حطام الدنيا بما قسمه الله لي، لكني لم أتلق كلمة إطراء وإلا قابلها دسيسة ضدي، كأني قد جئت أمراً مزرياً! حتى بعد صدور كتابي المهجري الذي لم تبع منه نسخة واحدة في المهجر، في حين تقدر المبيعات بعشرين ألف نسخة في العالم العربي، وبعد خروجي من أميركا تلقيت ثلاث صدمات من (سانباولو).

ـ الأولى من صاحبة (المراحل).

ب ـ والثانية من الشاعر القروي رشيد الخوري الذي كانوا يلقبونه بـ (ضمير الأمة العربية).

جـ ـ والثالثة من إلياس فرحات!

***

www.ketab.ir

وقد أخذ الشعراء على (صيدح) ـ يوم كرموه ـ ذلك البيت الذي قال فيه:

«ردوا جميل ثنائكم عني، خطر علي تدفق الاطياب!

فقال بعضهم «إن (صيدح) قد شبه نفسه بالجمل الذي إذا دفن في العطور مات، لأن الجعل معني دائماً بالروث والأقذار.

وكان في عداد الذين هاجموا (صيدح) (عيسى الناعوري) فهجاه صيدح هجاءً موجعاً جداً فاضطر الناعوري لأن يعتذر من تعرضه له فتوقف عن مواصلة هجائه بوساطة المرحوم الأستاذ جعفر الخليلي ـ الذي كان (صيدح) يجله ويحترمه ويحبه كثيراً.

وقلمنا يعف عن ذكر شيء مما هجي به المرحوم الناعوري ـ وممن خاصموا (صيدح) شاعر اسمه (يوسف العيد) فهجاه بقوله:

«قصائد العيد هاتوها ليسمعها بأذنه، كعقاب ماله ثاني
وأن أبى، فابطحوه واخنقوه بها حتى يفارق هذا العالم الفاني

***

و(صيدح) كما وصفه (إلياس فرحات) ـ الذي عاداه ـ بقوله: «صيدح إنسان وديع، قلب طاهر، وعصب ثائر، وشعر كثير، وصبر قليل».

كان الأدباء يقصدون (صيدح) ليستدينوا منه مبالغ فيهبهم وهو عالم أن ما يعطيهم إياه لن يعود، وقد تعجب أشد العجب يوم أعاد إليه ـ وهو على فراش الموت ـ الشاعر (وليم صعب) ألفاً وخمسمئة ليرة لبنانية، بعد تسعة عشر عاماً!

وقد لقي (صيدح) من الناشرين ما لقي أكثر الأدباء من هذه الفئة الكريمة!..

لم يغفل ذكر (فلسطين) في كل ما كتب. كتب إلى صديقه الخليلي بعد النكبة يقول: «اكفر بالله وبالضمير أن جئت أهنئك بالعام الجديد، فأنا لا أتوقع من الأعوام والأيام سوى الأحزان والآلام، وإنما أسأل الله أن يرفق بك وبي وبأمتنا المنكوبة، وكفانا أن يصدق الوداد، إن كذبت الأعياد!

***

من شعره الخاص بـ (فلسطين) قوله:

«واهاً (فلسطين)! ماذا يجديك دمع تحدر؟
وإن أذوب حناناً وقلب قومي تحجر؟

www.ketab.ir

واهـــاً (فلسطيـــن) مـــا لي أنـــام، وغيـــري يسهـــر؟
حبســـت في الصـــدر همـــي فـــإن نطقـــت تفجـــر
أكلمـــا قلـــت شعـــراً كتبـــت الردى المكـــرر
على صلبـــك قلبـــي كـــالنـــاصري تسمـــر!

***

توالت عليه النكبات لولا الله منّ عليه بأن تزوج بفتاة فرنسية فأخلصت له كل الإخلاص.

• إذ كسرت رجله فلازم الفراش أربعة أشهر.

• كان عليه - في شيخوخته - أن يزور المشفى لمعالجة المجاري البولية كل سنة.

• لم يراع أصحاب الحاجات أوضاعه فكانوا يزورونه طالبين مساعدته وهو مريض فلا يبخل على أحد منهم، وهذا الأمر كان يزعج زوجته الفرنسية كل الإزعاج.

وعلى الرغم من كل ما حل به في أيامه الأخيرة فإن خفة روحه لم تفارقه، إذ كتب إلى صديق له قصيدة جاء فيها:

«يا كاسف البال لا تحزن لأحزاني (باريس) مهما قست، ليست كـ(لبنان)!
هنا الجريمة أيا كان فاعلها يخزى، وفي ربعكم يجزى بنيشان!

كان شديد الإعجاب ببيت شعر للشاعر العراقي المبدع (علي الشرقي):

«بلـــدي رؤوس كلـــه أرأيـــت مـــزرعـــة البصـــل؟!»

من مزاياه أنه لم يكن يخجل من السؤال عما يجهل، وكان يستوفي كل ما يتعلق بسؤاله ذاك.

كان يجيد الزجل إجادته للشعر المؤتم، - الذي يسمونه العمودي والكلاسيكي -

بلغه أن العلامة المعروف الدكتور الأستاذ (صفاء خلوصي) العراقي بايعه بإمارة الشعر فأجابه بقصيدة تنم على تواضع شديد.

مات وهو يشكو من أنه لن يجد بعده من يعنى بمخلفاته القلمية، أهدى مخطوطاته إلى صديقه الحميم الأستاذ العالم صديقنا وزميلنا في مجمع اللغة العربية الأردني - وديع فلسطين.

***

www.kefab.ir

الدكتور أمين زهر.

يقدم إلينا هذا الدكتور الذي عرفه في العراق صديقاً للفقراء، أخاً للمرضى المحتاجين وقد اغتالته يد الغدر، بطريقة كلها خيانة ونذالة، إذ جاء الجاني يدعي أنه مريض، فرافقه من بيته إلى العيادة وفيما هو يغسل يديه ليفحصه، انقض عليه بساطور جزار، من خلفه، وبعد أن أجهز عليه مسح الدماء برداء الطبيب الأبيض - الطبي - وانسل كانه ذبح عصفوراً، وتركه غارقاً في دمائه، فلما توافد المرضى على العيادة اكتشفوا الجريمة. وقد مهد المؤلف لترجمة صديقه بذكر بعض الأطباء الإنسانيين والدكتور المرحوم منهم

فافتتح ما كتب على الدكتور أمين زهر بما فعل الطبيب الانكليزي (جولد سميث) الذي وهب كل ما له في البنك من حساب للمريض الفقير الذي دعي إلى زيارته، وذكر اعتقاد الدروز التقمص الذي هو انتقال روح الميت من جسد إلى جسد، فإن كان الميت صالحاً انتقلت روحه إلى مخلوق صالح أو أشد صلاحاً، وإن كان الميت طالحاً انتقلت روحه إلى مخلوق خبيث، ويقول أن التقمص فلسفة قديمة اعتقدها الهنود، وتبناها فلاسفة اليونان كأفلاطون وفيثاغورس (PUTHAGORAS) وقد قال أن الدروز لا يكفنون موتاهم بل يلبسون الميت أفخر ملابسه، ويضعونه في تابوت كما يفعل المسيحيون، ولكل أسرة جبّانة خاصة بهم، غرفة يفتحونها ويضعون الميت فيها.

***

يقول أن للميت عند الدروز حرمة عظيمة جداً، إذ يشيعون الجنازة بوفود مرتبة، وموسيقى ويكبرون عليه خمس تكبيرات.

وقد ذكر مزية لهذا الطبيب امتاز بها عمن سواه بأنه لم يكن يقبل مكافأة من الصيدلية التي تصرف منها وصفة الطبيب، وذكر أنه قضى في (النجف الأشرف) أربع عشرة سنة كان فيها مثال الأخلاق من النزاهة والتعفف وخدمة الإنسانية، فكان عطوفاً على الفقراء والمحتاجين.

***

(عجاج نويهض) ١٨٩٨-١٩٨٢ يقول عليه أنه كاتب بارع وصحافي لامع، ووطني صادق مخلص، يذكر زوجته الأديبة الشاعرة والروائية القصاصة، وكريمته الدكتورة (بيان) والصحافية (نورا).

والمرحوم (عجاج) هو الذي ترجم (بروتوكولات حكماء صهيون) الكتاب الذي قيل عليه ما حرفه: «لا يليق بعربي أن يبحث عن القضية العربية قبل أن يقرأ ذاك الكتاب!

www.ketab.ir

(برتوكولات حكماء صهيون). ولما وصفه قال: «وهو مؤمن بالعرب وبالعروبة، يحارب التعصب الطائفي داء الشرق العياء كان شديد الوفاء».

لما ترجم (حاضر العالم العربي) اضطر لأن يتفق مع صاحبة النزل الذي يبيت فيه أن تؤجل دفع أجرة مبيته ثلاثة أشهر، واتفق مع صاحب المطعم أن يؤجل ثمن الوجبات ثلاثة أشهر، وكان يكتفي بوجبة واحدة كل أربع وعشرين ساعة، ولما بلغ الأمر (شكيب أرسلان) أن عجاجاً عازم على ترجمة (حاضر العالم العربي) رغب في أن يعلق على فصوله، فقبل، ولما علم رشيد رضا بذلك، رحب بالفكرة، وطبع الكتاب في أربعة أجزاء فلما جاء دور الوفاء بوعده لصاحبة النزل، ولصاحب المطعم وجد نفسه مرغماً على اللجوء إلى الحاج (أمين الحسيني) ليعمل كتوماً للمؤتمر الإسلامي، في حين أنه أبى ذلك لما عرض عليه الحاج (أمين) هذا المنصب! لكنها الضرورات التي تبيح المحذورات، لكن الحاج (أمين) عرف (لعجاج) قدره فمنحه راتباً محترماً ودفع له راتب ستة أشهر سلفاً فتمكن أن يقوم بالتزاماته، وقد وصف المؤلف ما لقي (عجاج) في سبيل وطنه والمبدأ، والأخلاص لما يعتقد فقد بين أنه تحمل ما لا يمكن أن يتحمله إلا من تشبه بالأولياء صدقاً وإخلاصاً، ذكر زواجه الموفق بكريمة الدكتور يوسف سليم المعروف باخلاصه لتلك المهنة الإنسانية الشريفة وزوجته هي الأديبة الشاعرة القصاصة (أم خلدون) - جمال نهويض -

***

يذكر عرضاً ثورة الأستاذ سامي أسعد سليم على الحجاب، وعلى الطربوش، ويذكر ثورة (سلطان باشا الأطرش) التي مهدت لاستقلال سورية وهنا يتطرق الى المناصب التي شغلها عجاج بأمانة، ويصف من مزاياه دماثة الخلق ولين الجانب ويقول: «هو مع أولاده ترب من أترابهم وند من أندادهم، وطفل من أمثالهم، يشاركهم في العابهم كواحد منهم، أما وفاء عجاج لأصدقائه فنادر جداً أما آثاره فيقول المؤلف أنها تبلغ مائة مجلد، وهو خطيب بليل الريق ومحام ماهر وصحافي نزيه.

***

يقول: «عجاج نويهض» لبناني أصيل ابن الجبل الأشم، كريم متواضع وفيّ مؤمن يكره أنواع التعصب، ويرفض آراء الملحدين الذين لا يعيرون تعاليم الدين الحقيقي الاحترام اللازم وقد أثبتت بعض آراء الذين عرفوا (عجاجاً) عن كثب.

قال عليه: الأستاذ العالم وديع فلسطين ما حرفه: «عجاج أستاذي الأعظم وهو العلامة الفذ فاحترامه واجب إلى آخر الدهر».

وقد قلت عليه في كلمة رثاء وأنا أقصد كل حرف منها: «إذا عد العلماء العاملون كان عجاج منهم في الطليعة، وأن حسب المناضلون المجاهدون الذين أصابهم النفي والتشريد كان هو في المقدمة وإذا ذكر الأخوان الأصفياء كان في الصفوة المنتقاه فكان أول من نبه على غدر الصهيونية في ترجمته لكتاب (بروتوكولات حكماء صهيون) كان أميناً في كل منصب تولاه وفخراً لكل عمل زاوله.

***

لما شعر بدنو أجله أراد أن يرثي نفسه فتولت زوجته الفضل أم خلدون الرثاء عنه تجد هذه المرثاة مثبتة في آخر ترجمته! فرحم الله الخليلي الذي ابتكر فناً خالداً في الأدب العربي الحديث، ورحم من خلّدهم وفاؤه.

www.ketab.ir

الأخوان أيضاً نقلت بعد أيام من غرفة الانعاش إلى غرفة أخرى مزودة بكل لوازم الراحة الصحية.

وخرجت بعد أيام من المستشفى لكي ألازم السرير في البيت نحو شهر ونصف شهر أو شهرين كان الطبيب يزورني في كل أسبوع مرتين، وقد علمت أن السيدة أم خلدون قد سافرت إلى عمان لتسري نفسها وتنشد الراحة النسبية عند ابنتها السيدة سوسن، فتركت أمر تعزيتها إلى حين رجوعي إلى عمان، وأول ما فعلت عند وصولي هو القيام بزيارتها وأنا أهم بارتداء ملابسي رأيتني أبكي وأجمع بعض الكلم أودع فيها شعوري بهذه المصيبة التي يقصرها الدكتور بدوي طبانة على الموت دون غيري، وقد تألفت من ذلك أبياتاً مرتجلة تضاعفت حين تعطلت السيارة في الطريق بسبب الازدحام ومن المؤسف أن تأخر تسجيلها على الورق فنسيت منها عدداً من الأبيات ولم يبق في ذهني إلا بضعة أبيات أنشدتها أمام السيدة أم خلدون ودموعي تتساقط على خدي إذ قلت:

أعجاج جئت إلى حماك ولم أجدك فيا ترى أني أراك؟
وأرى بوجهك بهجة الدنيا وما الدنيا وبهجتها سواك
يا ضيعة الخلق الكريم، وضيعة الأب الرفيع رَحلْتَ فارتحلا وراك
لو تفتدى كانت جميع فضائل الدنيا من الدنيا فداك
كنت الملاك بكل ما خص الإله من الخصائص بالملاك
يا غائباً عزت وحتى في المنام لمشتاق رؤاك
ومسافراً لا يرتجي طول الزمان به رجاء في بقاك
كيف السبيل إلى السلو وما نسيتك كيف أن أنسى أساك
نضبت دموعي في رثاك وبعد لم أبلغ قليلاً من رثاك
يا دوحة شهدت تفيؤنا فغارت منه أفياء الأراك
ستظل طول الدهر تحكي ذكرياتك مثلما تحكي قراك

لقد حلت بي المصيبة منذ مات عجاج، وسأظل أبكيه ما دام لي عينان تستمدان دموعها من الكبد الذائبة، والقلب المحترق، وإذا ما حملني الشوق إلى زيارة قبره ذات يوم فسأهيل تراب قبره على رأسي وسأكرر قولي:

(أعجاج جئت إلى حماك ولم أجدك فيا ترى أني أراك؟)

وأعود من حيث أتيت أجابني من داخل القبر أم لم يجب؟!

المحتويات

كلمة لا بد منها
بقلم جعفر الخليلي ٥

مقدمة من قلم روكس بن زائد العزيزي ٧
هكذا عرفتهم من الشعر ٢١
كيف عرفت ميخائيل نعيمة ٢٣
كيف عرفت وديع رشيد الخوري ٥٥
كيف عرفت محمد جمال الهاشمي ٧٣
كيف عرفت جورج صيدح ٩٥
كيف عرفت الدكتور أمين زهر ١٥٩
كيف عرفت عجاج نويهض ١٨٣

www.ketab.ir